مجلة علوم التربية

دورية مغربية فصلية متخصصة

- الفصحى أم العامية؟
- معيقات الإصلاح التربوي
- الكفايات والتربية على القيم
- المقاربة بالكفايات وتمثلات المتعلم
- منظومة القيم في مقررات التعليم الثانوي
- عودة إلى تعريف الديداكتيك أو علم التدريس

العدد السابع والأربعون - مارس 2011

المقاربة بالكفايات وتمثلات المتعلم

عبد الوهاب صديقي

تمهيد:

ارتبط التدريس بالكفايات، بتحرير المتعلم من سلطة المدرس، والمعرفة، بإعطاء الاعتبار لتمثلاته، لدورها في بناء المعرفة، والتعلم الذاتي .ومنه فلم نعد نتحدث عن المدرس المالك للمعرفة لوحده، الذي يشحن عقول المتعلمين دون النظر لتمثلاتهم، ولإنتظاراتهم.. بل أصبحنا نتحدث عن مدرس موجه للمتعلم، محاور، بطريقة تشاركية قوامها التواصل والتعاون لبناء المعرفة.

و لقد انتقلت المدرسة المغربية من التدريس بالمقاربة بالأهداف ؛أي التدريس المعتمد على المعرفة في حد ذاتها كغاية مع ما يستدعي ذلك من الطرائق التقليدية في اكتساب المعرفة من تلقين وشحن لأدمغة المتعلمين بمعرفة هم في غنى عنها، ولا تستجيب لمتطلبات الواقع الاقتصادي والتكنولوجي وحاجات سوق الشغل . والنتيجة ملايين من حملة الشواهد الجامعية لا تناسب ومتطلبات سوق الشغل ؛فهذه هي نتائج بيداغوجيا الأهداف، فالمتعلم في هذه البيداغوجيا الهدفية؛ يعرف الصخور الكلسية، ويعرف تأبط شرا، ويعرف الفينيقيين، ... ولكن الإشكال الأكبر أنه لا يعرف تشغيل الحاسوب أو كتابة طلب لشركة ما، أو عد عملية رياضية بسيطة أو كتابة رسالة لغرض ما مما يجعل مكتسباته المعرفية لا قيمة لها لأنها بكل بساطة لم تؤهل صاحبها لحل الوضعيات التي يواجهها في واقعه، مما يعطي الشرعية للانتقال إلى صناعة التدريس أو المقاربة بالكفايات التي تعمد إكساب المتعلم مهارات ومواقف تجعله يواجه الوضعيات المشاكل التي تواجهه في حياته،

بالتالي فالمعرفة في هذه الحالة ليست غاية في حد ذاتها فالمعرفة مكفولة للجميع فالثورة التكنولوجية سهلت الولوج على عالم المعرفة، وبهذا المعنى فما على العقل العربي أو الإنساني عموما سوى الاستجابة لتحديات عصر المعلومات والسرعة «فالتحدي الذي يواجه إنسان عصر المعلومات هو أن مخه لا بد أن يجمع بين سرعة الاستجابة للمتغيرات تجاوبا مع تسارع إيقاع الحياة والقدرة على استيعاب الظواهر البطيئة و -المتراكمة» [1].إن التعلم في المقاربة بالكفايات (صناعة التدريس) يعتمد الطرائق الحديثة في اكتساب المعرفة مستثمرا الإمكانات التي تكفلها تكنولوجيا الوسائط أو التعليم المبرمج، لإيصال المعرفة إلى المتعلم بطريقة حوارية تشاركية، مما يجعل المتعلم يجد ما يكتسبه في المدرسة يمكن استثماره، ويستجيب لحاجات سوق الشغل . يقول أحد الباحثين : «إن المقاربة بالكفايات تتوخى أن تصبح الموارد المعرفية المكتسبة من داخل المدرسة أدوات مدمجة في فكر التلميذ وذات ارتباط بالواقع، لذا قد يكون من الأفيد أن يتم اكتسابها من خلال الاشتغال على مشروع نظرا لدوره الأساسي في إعطاء معنى للإشكال المطروح وبالتالي لتحديد الأدوات والوسائل الكفيلة بتأطير الوضعية المشكلة إن بيداغوجيا المشروع تجعل المتعلم يكون فكرة إيجابية عن المعارف المستهدفة بناؤها داخل المدرسة نظرا لارتباطها بحياته الشخصية »[2]وتكمن أهمية المقاربة بالكفايات ارتباطها بسياق التعلم، وبالوضعيات التي تواجه المتعلمين وقابليتها للتقويم يقول جميل حمداوي «إذا كانت بيداغوجية الأهداف تجزيئية وهرمية ولا سياقية، فإن بيداغوجية الكفايات سياقية وشاملة ومندمجة ووظيفية .وتعد الوضعيات من أهم العناصر التي ترتكز عليها الكفاية ومن أهم محكاتها الجوهرية لتقويمها إنجازا وأداء ومؤشرا.ولا يمكن تصور الكفايات بدون الوضعيات تماما لأنها التي تجعل من الكفاية وظيفة لا سلوكا»[3]

وخلاصة القول إن التدريس بالكفايات لا بد وأن يربط المتعلم بواقعه الحياتي، حتى يستطيع التغلب على ما يواجهه من مشاكل اجتماعية واقتصادية، بحيث يستطيع المتعلم تقويم مكتسباته المعرفية، لأنه لا كفاية بدون تقويم، ولا كفاية بدون الارتباط بالواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي للمتعلم .

ويأتي تبني الوزارة المغربية الوصية على الحقل التعليمي التربوي للمقاربة بالكفايات كتجاوز للطريقة الإلقائية التقليدية (المقاربة بالأهداف)، لفاعلية هذه المقاربة في بناء المعرفة، ولاستجابتها لطموحات المتعلمين وتمثلاتهم .

وتقوم المقاربة بالكفايات على إدماج مكتسبات المتعلم، لحل مشاكل -في وضعيات مختلفة، ولهذا سميت ببداغوجيا الإدماج .

وتهدف هذه المقاربة إلى:

- التركيز على ما يتعين أن يمتلكه المتعلم نهاية كل سنة دراسية، وينظم التعلمات بشكل أفضل حتى بلوغ المستوى المنشود.
- إضفاء معنى على التعلمات، وأن يرى المتعلم جدوى لما يتعلمه في المدرسة .
- استثمار المتعلم مكتسباته باعتبارها حلولا لمشاكل في وضعيات مختلفة .

ولابد لكل كفاية من وضعية، ولا بدلها من تقويم .

والكفاية عند اكزايي روجيرز « هي إمكانية لدى الفرد لاستنفار لمجموعة مدمجة من الموارد (معارف ومهارات ومواقف)، بهدف حل فئة من الوضعيات-المشكلة».

وخلاصة القول، تهدف المقاربة بالكفايات، بالنسبة للمدرس بحسب حمد الله جبارة في كتابه (مؤشرات كفايات المدرس من صياغة الكفاية إلى الوضعية المطابقة)إلى :

- إعادة صوغ النقل الديداكتيكي
- ابتكار طرق جديدة في التقويم
- اعتماد التفريد في التعليم
- إقامة علاقة بيداغوجيا، مع المتعلم قوامها الحوار والمشاركة في بناء المعرفة.[4]

إن اكتساب المتعلم لكفاية (لغوية، تواصلية، ثقافية، إستراتيجية، أوكفاية لها علاقة بمنظومة من القيم النبيلة) يستدعي خلق وضعية تتحقق فيها، بوضع المتعلم في مشكلة-مسألة معقدة، بغية جعله يبحث عن حل .

وتتميز الوضعية –المشكلة في كونها تجعل المتعلم يستنفر موارده بغية إيجاد حل للمشكلة التي تعترضه، وهذا مايعطي تمثلات المتعلم، أهميتها ودورها في بناء المعرفة، بالتالي على المدرس أخذ هذه المعرفة في الحسبان وتوجيهها، إلى ما يجعل المتعلم يتغلب على الصعوبات التي تعترضه.

وتتميز الوضعية –المشكلة، بمايلي:

- تمكن من تعبئة مكتسبات مندمجة وليست مضافة بعضها لبعض.
- توجه المتعلم نحو إنجاز مهمة مستقاة من محيطه، وبذلك تعتبر ذات دلالة تتمثل في بعدها الاجتماعي والثقافي... كما أنها تحمل معنى بالنسبة للمسار التعلمي للمتعلم، أو بالنسبة لحياته اليومية أو المهنية.

- تحيل إلى صنف من المسائل الخاصة بمادة أو بمجموعة مواد.
- تعتبر جديدة بالنسبة للمتعلم عندما يتعلق الأمر بتقويم الكفاية.

من خلال ما سبق نشير إلى أن تحقق كفاية ما، تستدعي استنفار مجموعة من الموارد المندمجة(مهارات، مواقف، معارف (تمثلات حول الدرس)، بغية استثمارها لحل مسائل- مشكلات في وضعيات مختلفة .

فما دور تمثلات المتعلم في المقاربة بالكفايات في بنـاء المعرفة ؟وما علاقة المتعلم بالمعرفة وبالمدرس في المقاربة بالكفايات ؟

1 - تمثلات المتعلم في المقاربة بالكفايات :

1-1 -التعريف اللغوي للتمثلات:

جاء في المعجم الوسيط، باب الميم، (مثل)الرجل بين يدي فلان انتصب وافقا أمامه، وتمثل الشيء تصوره ومنه قوله تعالى في سورة مريم «فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا «الآية 16-17.

1-2 التعريف الاصطلاحي للتمثلات :

التمثلات :هي تلك المعرفة المسبقة التي يكونها المتعلم عن الدرس، داخل الفصل عن طريق استحضار مكتسبات قبلية .

ويعرفها علم النفس المعرفي ب: أنها صيرورة معرفية، ونتاج لهذه الصيرورة في نفس الآن، وهي نمط من أنماط التفسير، و التأويل .

إن للتمثلات التي يبنيها المتعلم حول الدرس أهمية كبرى، في تجويد العملية التعليمية –التعلمية، بنقل الفصل من طبيعته التقليدية الرتيبة الإلقائية (العمودية)، إلى طبيعة أكثر استجابة لطموحات المتعلم تتسم بالحوار والمشاركة الفعالة في بناء المعرفة .

ويرتبط الحديث عن التمثلات في التعلم بالباحثين البيداغوجيين أندريه جيوردان، وجيرار دونفنشي اللذين يعتقدان أن بناء المعرفة رهين بما تراكم لدى المتعلم من تمثلات ومعارف ومكتسبات قبلية، لها علاقة بشبكات ذهنية ذات معنى.

وبالتالي فإن المعرفة التي يكتسبها المتعلم هي ما يتصوره ويتمثله، من مكتسبات قبلية

(معارف –مهارات –مواقف)التي تجعله ينخرط ايجابيا في الوضعيات التي تخلق له، بغية استدماج واستنفار معارفه لحلها، اعتمادا على خطاطة ذهنية .

ويعرفها اندريه جيوردان: «التمثل :عبارة عن مجموعة الصور والنماذج الذهنية عند المتعلم قبل بدء أي نشاط تعلمي وتكون نشيطة خلال عملية التعلم» (5)

من خلا التعريف نستنتج أن التمثلات :

- ما يكونه المتعلم حول الدرس الجديد من صور ذهنية
- استثمار للمكتسبات القبلية لحل وضعية- مشكلة
- تبرز قدرات المتعلم ونشاطه التعلمي

بالتالي فمن الخطإ إغفال تمثلات المتعلم الشيء الذي يضفي على الفصل رتابة ويجعل المتعلم يحس بالملل، وبكبح حريته في التعبير عن تصوراته في بناء المعرفة .

ومن هذا المنظور فإن لتمثلات المتعلم أدوار منها أنها :

-نقطة انطلاق لبناء تعلم جديد .

- تبرز الفوارق الفردية بين المتعلمين .

- تحقيق التعلم الذاتي

- تحقيق الاستقلال الذاتي للمتعلم، والتعبير عن آرائه بحرية

- الإحساس بمعنى الدراسة والتعلم

أما بالنسبة للمدرس فإن تمثلات المتعلم تساهم في :

- إثراء التعلمات
- جعل المتعلم محور التعلم، بالتالي تجاوز المدرس التقليدي المالك للمعرفة
- بث روح الحوار والتواصل الفعال بين المدرس والمتعلم
- انفتاح المدرس على محيط المتعلم الاجتماعي والثقافي
- اقتصار دور المدرس على التنشيط والتوجيه، لا التلقين .

2 -المتعلم وعلاقاته بالمعرفة والمدرس في المقاربة بالكفايات :

إن تركيز المقاربة بالكفايات، على تمثلات المتعلم، ساهم في تحريره من سلطة المعرفة، فبعد التطورات التكنولوجية، والشبكة العنكبوتية لم تعد المعرفة ملكا للمدرس يجود بها على

المتعلم متى أراد، بل اصبحت متاحة للجميع .وأصبح رهان التدريس هو بناء المعرفة لا المعرفة في حد ذاتها.

إن تحرر المتعلم من سلطة المعرفة مهد حتما، لتحرير المتعلم من سلطة المدرس السلطوي المالك للمعرفة .

وإن التركيز على تمثلات المتعلم هو ما أعطى التعلم معناه الحواري التشاركي، التواصلي، وجعل المتعلم يحس بمعنى التعلم والاستقلال الذاتي، والتعلم الذاتي والتعبير عن مواقفه، وآرائه بكل حرية .

وإن كل إقصاء لهذه التمثلات، ستجعل القسم رتيبا وتجعل المتعلم يحس بالملل، وكبح حريته، مما يقلل من انخراطه الإيجابي في العملية التعيلمية – التعلمية .

2-1 - المتعلم والمعرفة:

المعرفة في المقاربة بالكفايات هي ما يتمثله ويتصوره المتعلم في ذهنه من أفكار ورؤى قد تكون صائبة، وقد تكون خاطئة ؛بالتالي فالمعرفة ليس غاية في حد ذاتها، فبفضل التطور التكنولوجي، وعالم الإنترنت فهي متاحة للجميع .فمعرفة المتعلم لدرس المصدر في إطار مكون الدرس اللغوي مثلا هي مايتمثله عن الفعل كدال على الحدث مرتبط بزمان .(نحو كتب) بالتالي فمعرفته للمصدر (كتابة) يقتضي استنفار موارده المدمجة ومكتسباته القبلية لمعرفة المصدر كدال على الحدث غير مرتبط بزمان، ويستلزم هذا ترك المتعلم يستحضر أنساقه الرمزية لبناء تمثله للمعرفة .

2-2 - المدرس والمتعلم:

المدرس في المقاربة بالكفايات، لم يعد ذلك المدرس المالك للمعرفة، بل هو مساعد وموجه للمتعلم في بناء المعرفة من خلال العلاقة التشاركية التي تجمعه بالمتعلم، ليس إلا.

مما يستدعي مدرسا على دراية بهذه العدة البيداغوجية التي تكفل له تقدير تمثلات المتعلمين، والانفتاح على سياقاتهم الثقافية والاجتماعية .يقول حمد الله جبارة :»تبقى حرية التواصل وتمكين التلميذ من التعبير عن آرائه، وإدارة النقاش وحثه على أخذ المبادرة والاستدلال مع قبول آرائه دون ردعه أو تحقيره من الكفايات التواصلية التي يفترض أن يتوفر عليها المدرس الذي يحترم التلميذ ويثمن طريقته الفردية في تناول موضوع معين .»[6]

2-3 -المعادلة الرياضية للتمثلات :

صاغ الباحثان الديداكتيكيان أندريه جيوردان وجيرار دافيشي المعادلة الرياضية للتمثلات على الشكل الآتي :

Conception =(pcors) (7)

بحيث p يعني problème، وتعني وضعية مشكلة التي نقترحها على المتعلم .

و c، تعني cadre de référence، أي الإطار المرجعي أي المكتسبات القبلية التي يستحضرها المتعلم لحل الوضعية -المشكلة، التي تعترضه.

و o، وتعني opération mentales أي عمليات ذهنية وهي الأدوات الذهنية التي يستعملها المتعلم لحل ما يعترضه من مشاكل .

و r، وتعني réseau sémantique أي الشبكة الدلالية التي بواسطتها ينظم المتعلم تعلماته أي حصيلة الأدوات الذهنية والمكتسبات القبلية .

و s، وتعني symbolisation، أي الترميز الذي يتحقق على شكل أنساق لغوية أو جملية .

فمثلا نحن نضع المتعلم أمام وضعية –مشكلة مثلا لدينا نص قرائي بعنوان : الإسلام دين التعايش ونريد من المتعلم أن يعرف «التعايش» ؟ فهذه وضعية –مشكلة

فالتعايش في ذهن المتعلم هو أن يعيش الناس في سلام واطمئنان، بدون عنف فهذا إطار مرجعي في ذهن المتعلم من خلال استحضار مكتسباته القبلية التي اكتسبها في السنوات الدراسية الماضية، ومن خلال السياق الثقافي الأسري الذي يتأثر به؛يستحضر هذا من خلال عمليات ذهنية كالتفكير والتخييل وتقنية العصف الذهني.

ومن خلال هذه المكتسبات القبلية التي كونها المتعلم حول التعايش بواسطة عمليات ذهنية كالتفكير، نصل إلى الشبكة الدلالية ومن خلالها يركب المتعلم إنتاجا لغويا وتحققا رمزيا عن طريق ملفوظات ذات دلالة كأن يقول مثلا : التعايش أن يعيش الناس إخوانا تربطهم علاقة التضامن والتعاون ...، تسمى الترميز

بالتالي فإدراك المتعلم للتعايش هو حصيلة تصوره هو كذات متعلمة لمفهوم التعايش نفسه، وليس إدراكنا بالضرورة كمدرسين لنفس المفهوم. ومنه فمن الخطأ الاعتقاد بأن المتعلم قد يشاطرنا الأفكار التي نؤمن بها.

خلاصة :

إن المقاربة بالكفايات، تساهم في جودة التعلمات، وذلك باستحضارها لتصورات، ومكتسبات المتعلم (تمثلاته)، كمنطلق لبناء المعرفة، بطريقة تشاركية (حوارية)، قوامها توجيه المدرس وتنشيطه، الشيء الذي سينمي لا محالة التعلم الذاتي لدى المتعلم، واكتسابه لمعرفة، وتقويمها.

إن دور المدرس في المقاربة بالكفايات إذن، توجيهي، إرشادي، لا تلقين أوشحن لأدمغة المتعلمين بمعرفة لا تستجيب لطموحاتهم ولتمثلاتهم حول المعرفة نفسها.

المراجع المعتمدة:

- المعجم الوسيط، المجمع القاهري، ط2 المكتب الإسلامية للطباعة والنشر، الجزء الأول.
- مؤشرات كفايات المدرس من صياغات الكفايات إلى وضعية مطابقة، حمدا لله جبارة، منشورات علوم التربية ع30، ط الأولى 2009.
- موجز بيداغوجيا الإدماج، غرافييه روجيز، الرباط 2006 ترجمة مبارك أبو الفضل
- المقاربة بالكفايات (بيداغوجيا الإدماج)أنشطة عملية- ملف المشارك، إعداد : فاطمة كمراوي- محمد بنمعيزة- التهامي بنجدي- عمر بنخضرة.
- مجلة علوم التربية، عدد 43 أبريل 2010
- الطفل بين الأسرة والمدرسة، د:الغالي أحر شاو، منشورات علوم التربية 19، ط الأولى 2009.
- لتمثلات و العوائق في تدريس الجيولوجيا (مقال) أسعادي عبد العالي –مجلة علوم التربية ع 41 سبتمبر 2009.
- التكوين المستمر، ديداكتيك مادة اللغة العربية، الوحدة المركزية لتكوين الأطر، يونيو 2009 .

الهوامش

(1) - نبيل علي، العقل العربي ومجتمع المعرفة، مظاهر الأزمة واقتراحات الحلول، ج 1، عالم المعرفة نوفمبر 2009، ص55

(2) - محمد العمارتي، التدريس بالكفايات رهان على جودة التعليم ، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 9، ط 1، 2007، ص 52 .

(3) - جميل حمداوي، التدريس بالكفايات رهان على جودة التعليم، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 9 ط 1، 2007، ص 66

(4) - حمد الله جبارة، مؤشرات كفاية المدرس من صياغات الكفاية إلى وضعية مطابقة، منشورات علوم التربية -20- الطبعة الأولى ص 16-17.

(5) - في بناء المعارف أو أساليب المعرفة، أندري جيوردان، ترجمة عمر بيشو، مجلة علوم التربية ع 41 سبتمبر 2009 ص23

(6) - حمد الله جبارة، مؤشرات كفايات المدرس من صياغات الكفايات إلى وضعية المطابقة، منشورات مجلة علوم التربية، عدد 20، الطبعة الأولى 2009، مطبعة النجاح الجديدة ص 76

(7) - التكوين المستمر، ديداكتيك مادة اللغة العربية، أكتوبر 2009، إعداد الفريق المركزي للتكوين المستمر مادة اللغة العربية، ص 22-23